المحاضرة السادسة:
المحور الثاني:
أنواع المناهج الكيفية:
عنوان المحاضرة:
المنهج التاريخي

تقوم البحوث الكيفية في بحوث الإعلام على مجموعة من المناهج الكيفية، التي تطورت مؤخرا وتميزت بالتعدد نظرا لملاءمتها لخصائص الظاهرة الإعلامية والاتصالية، نذكر أهمها فيما يأتي:

يرى ابن خلدون أن "التاريخ في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة، عريق وجدير بأن يعد في علومها خليق.

ومن رواد المنهج التاريخي في علم الاجتماع، المفكر" ابن خلدون" (1406-1332) في مقدمته حينما ربط الأحداث التاريخية الاجتماعية ببعض وربط العلة بالمعلول، و"لويس مورجان" (1819- 1881) الذي درس تطور المجتمع الإنساني من الحالة البدائية المتوحشة خلال المرحلة الوسطى إلى المرحلة البربرية ثم إلى المدنية الحديثة، وقد استخدم "توماس هوبز" (1679-1588) هذا المنهج في تفسير مسيرة المجتمع الإنساني إذ قال إن المجتمعات الإنسانية قبل أن تصل إلى مرحلة الحياة الاجتماعية مرت بمراحل كانت تعيش فيها على الطبيعة. ودرس "أوغست كونت" (1857-1798) هذا المنهج في تطور المجتمع الإنساني من خلال ثلاثة مراحل وهي المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضيعة، وكذلك "هربرت سبنسر" (1903-1820) وهو من أصحاب المدرسة التطورية، الذي قال إن المجتمع يتطور من البسيط إلى المركب، وطالب علماء الاجتماع بالاعتماد على المنهج التاريخي لدراسة الظواهر الاجتماعية في حالتها الدينامية.

فالتاريخ يهتم أساسا بدراسة الماضي، حيث يسعى المؤرخ إلى تقديم وصف دقيق لماضي الإنسانية والأحداث التاريخية التي مرت بها وما خلفته من آثار وحضارات. وهو بذلك يصف الأحداث التاريخية بطريقة موضوعية محاولا ربطها بسياق زمني معين مستخدما طريقة استقرائية يغلب عليها طابع التحليل والكشف عن العلاقات السببية للأحداث الماضية، وهذا هو مصطلح التاريخ العلمي الذي لا يكتفي بمجرد السرد والنقل والوصف، بل يهدف إلى معرفة الأسباب والربط بين العوامل التي ساهمت في صنع الحدث التاريخي وتتابعه في سياق زمني معين.

ويعتبر المنهج التاريخي أداة البحث في المشكلات أو الظواهر الإعلامية في بعدها التاريخي أو الوقائع والأحداث التي حدثت في الماضي، سواء لأغراض وصف الظاهرة الإعلامية وتسجيلها كما حدثت في الماضي، مثل تسجيل تاريخ المؤسسات والوسائل الإعلامية والبارزين فيها، أو لأغراض تفسير علاقات الظاهرة الإعلامية وعناصرها بالوقائع والأحداث التي حدثت في الماضي.

ويعرف المنهج التاريخي بأنه منهج يهدف إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية، وفق إجراء البحث والفحص الناقد للوثائق.

وبالنسبة للخطوات المميزة للمنهج التاريخي، فتتمثل إضافة للخطوات المنهجية العامة في الآتي:

الخطوة الأولى "جمع المادة التاريخية": تبدأ عملية جمع المادة التاريخية بتحديد المصادر، التي تضم هذه المادة أو تشير إليها ومستواها. وتسمى المصادر التاريخية، وتنقسم إلى نوعين:

أ- المصادر الأولية: وهي المصادر المباشرة ذات العلاقة العضوية بالوقائع والأحداث والشخصيات.

ب- المصادر الثانوية: وهي المصادر التي تأخذ عن المصادر الأولية وتعيد تسجيلها أو نشرها بعد ذلك في سجلات أخرى أو الصحف أو الدوريات، وعادة تكون مصحوبة بالآراء والتعليقات المرتبطة بإعادة التسجيل والعرض، كذلك بحوث القراءة وبحوث الاستماع التي تقوم بها المؤسسات الإعلامية.

الخطوة الثانية "نقد المادة التاريخية وتقويمها": يهتم النقد الموضوعي بالتحقق من صحة وصدق ما تم توثيقه أو جمعه من معلومات إلى فترة زمنية محددة، أو أشخاص بعينهم، أو مجتمعات حضارية بعينها، وذلك من خلال مستويين من النقد:

- **النقد الخارجي**: يهدف إلى التحقق من صدق الوثيقة من الناحية الشكلية.
- **النقد الداخلي:** ويهدف للتحقق من محتوى الوثيقة ومعناها.

وتجدر الإشارة إلى أن كلا المستويين يتطلبان من الباحث امتلاكه لمعرفة تاريخية كبيرة وحس نقدي للكشف عن الدلائل المختلفة التي تثبت صحة الوثيقة.

الخطوة الثالثة "تصنيف الحقائق وتحليلها وإعادة تركيبها": وهي العملية الخاصة بإعادة عرض الوقائع والأحداث كما حدثت في الماضي في إطار الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها، أو التساؤلات التي يسعى الباحث إلى الإجابة عليها وتفسيرها في إطار ما قام به من إجراءات، وما استند إليها من مصادر ثبتت صحتها وصلاحيتها للبحث التاريخي.

المراجع المعتمدة:

- وليدة حدادي: منهجية البحث في الدراسات الإعلامية (الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية)، دار أسامة، عمان، 2020.
- د.وليدة حدادي: مناهج البحث الإعلامي (الأسس العلمية ومجالات التطبيق)، كتاب "سؤال المنهج في العلوم الاجتماعية (بين الخرائط الفلسفية والإجراءات البحثية)"، جمع و إشراف وتقديم: د. عبد الرزاق بلعقروز، منتدى المعارف، بيروت، 2019.